الكرسي الرسولي

الزيارة الرّسوليّة إلى مرسيليا

عظة قداسة البابا فرنسيس

في القدّاس الإلهيّ لإكرام سيّدتنا مريم العذراء سيّدة الحماية

ملعب Vélodrome، السّبت 23 أيلول/سبتمبر 2023

[Multimedia]

يروي الكتاب المقدّس أنّ داود الملك، بعد أنّ ثبّتَ مملكته، قرّر أن ينقل تابوت العهد إلى أورشليم. لذلك، بعد أن دعا الشّعب، نَهضَ ومَضى ليأخذه، وفي أثناء الرّحلة، رَقَصَ هو نفسه أمام التّابوت مع النّاس، مُبتهجًا وفَرحًا بحضور الرّبّ (راجع صموئيل الثّاني 6، 1-15). وعلى خلفيّة هذا المَشهد، روى لنا لوقا الإنجيليّ زيارة مريم لنسيبتها أليصابات: قامت مريم أيضًا ومَضَت إلى منطقة أورشليم، ولمّا دخلت بيت أليصابات، عرف الطّفل الذي كانت تحمله في بطنها بوصول المسيح، فاهتزّ فرحًا وبدأ يرقص، كما رقص داود أمام تابوت العهد (راجع لوقا 1، 39-45).

مريم هي تابوت العهد الحقيقيّ، الذي يقدّم الرّبّ المتجسّد إلى العالم. إنّها العذراء الشّابة التي ذهبت للقاء المرأة المُسنّة والعاقر، التي وهي تحمل يسوع، صارت علامة على زيارة الله الذي يَغلِبُ كلّ عُقم. إنّها الأمّ التي صَعِدَت نحو جبال يهوذا، لتقول لنا إنّ الله انطلق نحونا، ليبحث عنّا بمحبّته، ويجعلنا نتهلّلُ فرحًا.

في هاتَين المرأتَين، مريم وأليصابات، تظهر زيارة الله للبشريّة: واحدةٌ شابّة والأخرى مُسنّة، واحدةٌ عذراء والأخرى عاقر، مع ذلك كلتاهما حامل بطريقة "مستحيلة". هذا هو عمل الله في حياتنا: يجعل ممكنًا حتّى ما يبدو لنا مستحيلًا، ويولّد الحياة حتّى في حالة العقم.

أيّها الإخوة والأخوات، لنسأل أنفسنا بصدق، سؤالًا من القلب: هل نؤمن بأنّ الله يعمل في حياتنا؟ وهل نؤمن بأنّ الرّبّ يسوع، وبطريقة خفيّة وغالبًا غير متوقّعة، يعمل في التّاريخ، ويصنع العجائب، ويعمل أيضًا في مجتمعاتنا التي تتّسِم بالعلمانيّة الدّنيويّة واللامبالاة الدينيّة؟

يوجد طريقة لنميّز ونعرف هل نثق فعلًا بالرّبّ يسوع. ما هي الطّريقة؟ قال الإنجيل: "فلَمّا سَمِعَت أليصاباتُ سَلامَ مَريَم، ارتَكَضَ الجَنينُ في بَطنِها" (الآية 41). هذه هي العلامة: الاهتزاز فرحًا. مَن يؤمن، ومَن يصلّي، ومَن يتلقّى الرّبّ يسوع، يهتزّ في الرّوح القدس، ويشعر أنّ شيئًا ما يتحرّك في داخله، و"يرقص" فرحًا. وأودّ أن أقف عند هذا: الإيمان

خبرة الإيمان تولِّد أوّلًا اهتزازًا وفرحًا أمام الحياة. والاهتزاز يعني أنّ شيئًا "حدث في الدّاخل"، فنرتعش في داخلنا، ونشعر بأنّ شيئًا ما يتحرّك في قلبنا. وهذا نقيض قلب مسطّح بارد، مستريح في حياة هادئة، صار مصفّحًا باللامبالاة، لا شيء ينفذ إليه، ومتصلِّبًا، لا يُحِسُّ بشيء أو بأحد، حتّى ولا بمأساة من يرفض الحياة البشريّة، إذ يرفض الكثيرون الحياة اليوم، في أشخاصٍ كثيرين يهاجرون، وأيضًا في أطفالٍ كثيرين لم يولدوا بعد، وفي متقدّمين في السّن كثيرين متروكين. القلب البارد والمسطّح يجرّ الحياة وراءه بشكل آليّ، من دون عاطفة، ومن دون دوافع، ومن دون رغبة. وكلّ هذا، في مجتمعنا الأوروبي، يمكن أن يؤدّيَ بنا إلى أمراض متنوعة: التّصلّب أمام ألم الغير، وعدم الاهتمام، والاستسلام، والشّكّ في كلّ شيء، وشعور عام بالحزن. سَمّى أحدهم هذه الأمراض، "أهواء حزينة": إنّها حياة من دون الاهتزاز فرحًا.

لكن، مَن وُلِدَ بالإيمان، يعترف بحضور الرّبّ يسوع، مثل الطّفل في بطن أليصابات. يتعرّف على عمل الله كلما برعمت الأيّام ونمَتْ، ويتلقّى عيونًا جديدة لينظر إلى الواقع. حتّى في وسط التّعب والمشاكل والألم، يرى زيارة الله كلّ يوم ويشعر أنّه يرافقه ويسنده. أمام سرّ الحياة الشّخصيّة وتحدّيات المجتمع، الإنسان الذي يؤمن يشعر بهزّة فرح، عاطفة وحُلمٌ ينمّيه، ومصلحة تدفعه إلى أن يلتزم شخصيًّا. الآن كلّ واحد منّا يمكن أن يسأل نفسه: هل أشعر بهذه الأشياء؟ هل لدي هذه الأشياء؟ الذي هو كذلك يعلَم أنّ الرّبّ يسوع حاضر في كلّ شيء، ويكلّمه، ويدعوه إلى أن يشهد للإنجيل لكي يبني عالمًا جديدًا بالوداعة، وبالعطايا والمواهب التي نالها.

تولّد خبرة الإيمان، بالإضافة إلى هزّةٍ أمام الحياة، هزّةً أمام القريب أيضًا. في الواقع، في سِرّ الزّيارة، نرى أنّ زيارة الله لم تتمّ من خلال أحداثٍ سماويّة وغير عاديّة، بل في لقاءٍ بسيط. أتى الله إلى باب بيت عائلةٍ، وفي عِناقٍ حنونٍ بين امرأتَين، وفي لقاء امرأتَين حاملَين مليئتَين بالدّهشة والرّجاء. وفي هذا اللقاء نجد اهتمام مريم، واندهاش أليصابات، وفرح المشاركة.

لنتذكّر ذلك دائمًا، في الكنيسة أيضًا، الله علاقة، ويزورنا دائمًا من خلال لقاءاتنا مع الناس، عندما نعرف كيف ننفتح على الآخر، وعندما نهتزّ لحياة الذي يمرّ بجانبنا كلّ يوم، وعندما لا يبقى قلبنا غير متأثّر وغير حسّاس أمام جراح الأضعفين. مدننا الكبيرة ودولٌ أوروبيّة كثيرة مثل فرنسا، التي فيها تتعايش الثّقافات والأديان المختلفة، تشكِّل بهذا المعنى تحدّيًا كبيرًا أمام تفاقم الفرديّة، والأنانيّات والانغلاقات التي تؤدي إلى عزلة وآلام الكثيرين. لنتعلّم من يسوع أن نرتعش ونشعر بمَن يعيش بجانبنا، ولنتعلّم منه، كيف كان يتأثّر أمام الجموع المُتعَبَة والمُرهَقَة، ويشعَر بالشّفقة تجاهها (راجع مرقس 6، 34)، كانت تهزه الرّحمة أمام كلّ بشر جريح كان يصادفه. وكما أكّدَ أحد قدّيسيكم الكبار، وهو منصور دي بول: "يجب أن نحاول أن نليّن قلوبنا، ونجعلها حسّاسة لآلام القريب وبؤسه، وأن نصلّي إلى الله لكي يمنحنا روح الرّحمة الحقيقيّ، الذي هو روح الله، إلى حد أن نعترف أنّ الفقراء هم "أسيادنا" (*مراسلات، مقابلات، وثائق*، باريس 1920-1925، 341؛ 392-393).

أيّها الإخوة والأخوات، أفكّر في "هزّات" فرنسا الكثيرة، وفي تاريخها الغَنيّ بالقداسة والثّقافة والفنّانين والمفكّرين، الذين شُغِفَت بهم الأجيال. واليوم أيضًا، حياتنا، وحياة الكنيسة، وفرنسا، وأوروبا بحاجة إلى هذا: إلى نعمة تهُزُّنا، وإلى إيمانٍ يهُزُّنا من جديد، وإلى محبّة ورجاء. نحن بحاجة لأن نَجِدَ شغَفًا واندفاعًا، وأن نتذوّق من جديد طَعم الالتزام من أجل الأخوّة، وأن نجرؤ مرّة أخرى ونقبل مغامرة الحبّ في العائلات وتجاه الأضعفين، وأن نَجِدَ من جديد في الإنجيل النّعمة التي تحوّل الحياة وتجعلها جميلة.

لننظر إلى مريم، التي أتعبت نفسها وأقدمت على السّفر. وهي تعلّمنا أنّ الله هو هكذا: إنّه يزعجنا، ويدعونا إلى الحركة، ويجعلنا "نهتزّ"، كما حصل مع أليصابات. نحن نريد أن نكون مسيحيّين يلتقون مع الله بالصّلاة ومع الإخوة بالمحبّة، ومسيحيّين يهتزّون طربًا ويرتعشون ويتلقّون نار الرّوح القدس، ويقبلون أن يحترقوا بأسئلة اليوم، وبتحدّيات البحر الأبيض المتوسّط، وبصرخة الفقراء، "وبأحلام مقدسة" في الأخُوّة والسّلام التي تنتظر أن تتحقّق.

أيّها الإخوة والأخوات، أصلّي معكم إلى سيّدتنا مريم العذراء سيّدة الحماية، لتسهرَ على حياتكم، ولتحرسَ فرنسا وأوروبّا كلّها، ولتجعلَنا نهتزّ بالرّوح القدس. أريد أن أعبِّر عن ذلك بكلمات بول كلوديل (Paul Claudel): "رأيت الكنيسة

****

الزيارة الرّسوليّة إلى مرسيليا

كلمة شكر لقداسة البابا فرنسيس

في ختام القدّاس الإلهيّ

ملعب Vélodrome، السّبت 23 أيلول/سبتمبر 2023

شكرًا صاحب النّيافة، على كلماتك، وشكرًا لكم جميعًا، أيّها الإخوة والأخوات، على حضوركم وصلواتكم: شكرًا!

وَصَلتُ الآن إلى نهاية هذه الزّيارة، وأريدُ أن أعبّر عن شُكري للاستقبال الحارّ الذي تلقّيته، وللجهود التي بذلتموها والتّحضيرات التي قُمتُم بها. أشكر رئيس الجمهوريّة، وأوجّه من خلاله تحيّة حارّة إلى الفرنسيّين والفرنسيّات كلّهم. أحيّي السّيّدة رئيسة الوزراء التي جاءت لاستقبالي في المطار. وأحيّي أيضًا السُّلُطات الحاضرة هنا، ولا سيّما السّيّد رئيس بلديّة مرسيليا.

وأُعانق كنيسة مرسيليا بأكملها، مع جماعاتها الرّعويّة والرّهبانيّة، ومع مؤسّساتها التّعليمية الكثيرة وأعمالها الخيريّة. كانت هذه الأبرشيّة الأولى في العالم التي تمّ تكريسها لقلب يسوع الأقدس، في سنة 1720، أثناء وباء الطّاعون. ففي قلوبكم علامات حنان الله، حتّى في "وباء اللامبالاة" الحاليّ: شكرًا على خدمتكم الوديعة والحازمة، التي تشهد لقُربِ االله ورأفته!

جاء العديد منكم إلى هنا من أماكن مختلفة من فرنسا: شكرًا لكم! أودّ أن أحيّي الإخوة والأخوات الذين جاؤوا من نيس، ويرافقهم الأسقف ورئيس البلديّة، والذين نَجَوا من الهجوم المروّع في 14 تمّوز/يوليو 2016. لنتذكّر ولنصلِّ للذين فقدوا حياتهم في تلك المأساة وفي كلّ الأعمال الإرهابيّة التي ارتُكبت في فرنسا وفي كلّ أنحاء العالم. الإرهاب جبان. ولا نتعب من أن نصلّي من أجل السّلام في المناطق التي دمّرتها الحرب، وخاصّة من أجل الشّعب الأوكرانيّ المعذّب.

تحيّة مليئة بالمحبّة للمرضى والأطفال والمتقدّمين في السّن، الذين هم ذاكرة الحضارة؛ وأوجِّه فكرًا خاصًّا إلى الأشخاص الذين يواجهون الصّعوبات، وإلى كلّ العُمّال في هذه المدينة. عَمِلَ جاك لوف في ميناء مرسيليا، وكان أوّل كاهنٍ عامِل في فرنسا. لتكن كرامة العُمّال مُحترمة ومعزّزة ومحميّة!

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، سأحمل لقاءات هذه الأيّام في قلبي. لتَسهَر سيّدتنا مريم العذراء سيّدة الحماية على هذه المدينة، التي هي فسيفساء الرّجاء، ولتَسهَر على عائلاتكم كلّها وعلى كلّ واحدٍ منكم. أباركم. ومن فضلكم، لا تنسَوْا أن تصلّوا من أجلي. شكرًا!

****

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2023

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana